المدرسة الطبيعية

المتقدمون (الأيونيون والمالطيون(والمتأخرون)

مفتتح إشكالي:

عرفت الفلسفة لحظة إشراقها سطوع حكماء إغريق اهتموا بسؤال الأصل والوجود، محاولين بذلك إخراجه من جبة التصور الميثولوجي إلى منطق إرجاع كل شيء لعناصر الطبيعة، ولا شك أن أول حكيم أدلى بدلوه في هذا الباب هو طاليس الملطي الذي تمكن من تأسيس مدرسة تحمل اسم المدرسة الأيونية، علما ان مفهوم المدرسة الفلسفية يختلف تمام الاختلاف عن تصورنا المعاصر.ولقد تأتى لهذه المدرسة أن تبصم على حضور قوي في سؤال البحث عن أصل الوجود بفضل حضور أعلام كبار من قبيل أنكسماندرس وأنكسمانس وغيرهم انبرت المدرسة الأيونية باهتمامها بمفهوم المبدأ ـ archê باللغة الإغريقية القديمة ـ الذي كان سببا حسب اعتقادهم في أصل ومبدأ الكون، خاصة وأنهم كانوا يؤمنون أن ما يوجد هو ما يدرك عن طريق الحواس، الأمر الذي سيجعل المبدأ الأول ماديا وليس مجردا. وهكذا فقد أضحى شغلهم الشاغل يكمن في وضع الأصبع على السبب الرئيسي المفسر لأصل العالم، حيث اتفقوا حول منطلق يجمعهم ألا وهو إرجاع الكثرة والاختلاف في الكون إلى سبب أول، أو وحدة أولى وقد نتجت عنها باقي العناصر. وفي ضوء هذا نتساؤل عن ماهية هذه المدرسة وأهم أفكارها والانتقادات الموجهة إليها؟

1/ تعريف المدرسة الأيونية

يُستخدم مصطلح المدرسة الأيونية) بالإنجليزية (Ionian School :يُستخدم مصطلح المدرسة الأيونية) بالإنجليزية (Ionian School :للإشارة إل للإشارة إلى مجموعة من الفلاسفة اليونانيين الذين سعوا إلى الوصول لتفسيراتٍ منطقية تخص أصل العالم وما يحدث فيه من ظواهر، وإلى أن تكون تفسيراتهم هذه بعيدة على التفسيرات التي أساسها الأساطير

والأمور الخارقة للطبيعة، وقد نشط فلاسفة هذه المدرسة خلال القرن السادس قبل الميلاد، وتحديدًا في مدينة ميليتوس، وسميت المدرسة الأيونية بهذا الاسم نسبة إلى موقع مدينة ميليتوس، في أيونيا، التي كانت إقليمًا ومجموعة جزر تقع في غرب آسيا الصغرى، على بحر إيجة، ويعتبر فلاسفة المدرسة الأيونية من أوائل الفلاسفة اليونانيين، وبالتالي هم من أوائل فلاسفة الفلسفة الغربية، وقد سمى أرسطو الأيونيين بِـ "الطبيعيين الأولين"، وامتازوا بعدم اتباعهم لأي تعاليم محددة، بالإضافة إلى أنهم تشاركوا الاهتمام بتفسير الظواهر من ناحية المادة والقوى الفيزيائية، وهذا الاهتمام المشترك ميزهم عن المفكرين اللاحقين، هذا وتجدر الإشارة إلى أنّ المدرسة الأيونية تُسمى أيضًا بِـ "المدرسة الملطية"، كما أن فلاسفتها ينقسمون إلى "الطبيعيين الأولين" أو الأيونيين الأولين، والذين يشملون كلاً من طاليس الملطي، وأناكسيماندر، وأنكسيمانس الملطي، وإلى "الطبيعيين اللاحقين"، أو الأيونيين اللاحقين، الذين يشملون كلاً من أناكساغوراس، وهرقليطس، وأمبادوقليس، وديوجانس الأبولوني، وأرخلاوس الأثيني، وهيبو.

2/ الأفكار الكبرى الناظمة للفلسفة الطبيعية

عندما نعود إلى المدرسة الأيونية نجدها مدرسة مؤثرة في عديد مناحي التفكير الإنساني الذي سيأتي بعدها خاصة في الفيزياء والفلسفة والفلك والتصور الديني الذي لم يخرج بدوره عن إرجاع العالم إما إلى قوة مجردة أو إلى عناصر الطبيعة على غرار التراب والنار. افي البدء لم تكن الفلسفة تأملا مترفا يقوم به فرد ما إزاء العالم الذي يسكنه ويعيش فيه، بل هي أقرب للأسطورة والميثولوجيا ويبدو أنه الفلسفة بوصفها لوغوس أو علما جاءت متأخرة مع أفلاطون وتحديدا أرسطو، ولكن لنحذر من جعل هذه العقلانية بمثابة عقلانية التنوير في القرن السابع عشر والثامن عشر. وفلاسفة أيونيا هم طاليس وانكسمنس وانكسمندريس وسوف نلخص أراءهم تباعا، ولكن قبل ذلك نورد قصة تبين بعض الشيء دلالة الفلسفة آنذاك يرويها لنا أفلاطون في محاورة **ثياتيتوس** حيث يقول: ما وقع لطاليس في رصده الفلك يا **ثياتيتوس** ثئو

إذ هوى في البئر بينما كانت عيناه شاخصتين إلى السماء، إذ يقال إن خادمة تراقية ناعمة مهضومة قد داعبته بقولها أنه منهمك في معرفة شؤون السماء فيما يفوته ما يقابله وما ينبسط عند قدميه، وهذه السخرية الناعمة تنطبق على جميع من يقضون عمرهم في طلب الحكمة. وبين من هذه الحادثة تطويع أفلاطون لها حتى تنسجم مع فلسفة المثل يعلق هايدغر على هذه الحادثة : الفلسفة هي أضحوكة الخادمات. ومن جهة أخرى نلتمس دلالة الفلسفة بوصفها نوع مختلط من الأسطورة والترف فهي: تغذي الجانب الرقيق من النفس. كما يقول أفلاطون في الجمهورية، وقبل أن نفرغ من هذا نورد نصا لأرسطو ذكره في كتاب الميتافيزيقا يبين ماهية الفلسفة كما نزعم في هذه المقالة: وقد حدث هذا الاكتشاف (أي الفلسفة) لأول مرة في الأماكن التي بدأ الناس فيها يستمتعون بالفراغ والراحة، وهذا هو السبب في أن الفنون الرياضية قد تأسست في مصر حيث سمح لطبقة الكهنة بالاستمتاع بالفراغ والراحة. وكانت مباحث المدرسة الأيونية حول ‘‘أصل’’ العالم أو ‘‘المبدأ’’ الذي يرجع إليه كل الظواهر، فلك أن تطرح السؤال ذاته: هنا عالم وجدت فيه فما أصل هذا العالم؟ وإن كان هناك مبدأ للعالم فما هو؟ وهل للعالم عدة مبادئ؟ أم مبدأ واحد فقط؟

أولا: أهم آراء طاليس الفلسفية

قبل أن نناقش آراء طاليس الفلسفية ، التي اختلف بها عن آراء المفكرين قبله ، كما سنوضح ذلك لاحقاً . والتي اختلفت ايضاً بشأنها آراء بعض المعنيين بالفلسفة اليونانية حيث أنكر بعضهم نسبتها اليه كما سنرى ذلك ، بينما قبلها آخرون . ومنها : ١ – قول طاليس : (الماء أصل الوجود أو الأشياء) . ٢– قوله : (العالم حافل بالآلهة) . ٣ — قول طاليس: (للحجر المغناطيسي روحاً)

نبدأ بالرأي الأول وهو كما ذكرنا قول طاليس : (الماء أصل الأشياء) . لقد ذكر أرسطوطاليس أن تاريخ الفلسفة قد بدأ مع طاليس ، أي أن طاليس هو أول من بدأ التفلسف

. وذلك لأنه طرح سؤالاً فلسفياً وهو ما أصل الوجود) ؟ وأجاب عليه إجابة فلسفية علمية . لقد اعتمد طاليس في جوابه على السؤال على الملاحظة أو المشاهدة والتجربة وهذه تمثل منهج العلم الذي يقوم على الملاحظة والتجربة ، التي تمثل الجانب العلمي في جواب طاليس . ثم الأخذ بالأدلة والبراهين لتدعيم جوابة للإقناع العقلي وبهذا اختلف عمن سبقه . أي ما جاء طرحه في الأساطير لدى البابليين والمصريين واليونانيين حيث أشارت تلك الأساطير أن أول ما وجد هو المحيط أو الاوقيانوس ، فهو المصدر الأول لجميع الأشياء ،لقد ذكر طاليس كما يشير أرسطوطاليس أن النبات والحيوان يغتذيان بالرطوبة . ليس هذا فحسب بل أن الموجودات يتغذى بعضها على بعض، فيأخذ النبات الماء من التربة بصورة مباشرة، ويتغذى الحيوان على النبات فهو يأخذ الماء بصورة مباشرة وغير مباشرة ، ويتغذى الانسان على النبات والحيوان. فهو يأخذ الماء بصورة مباشرة وغير مباشرة. كما أن جميع الموجودات جاءت من الماء. أي أن الماء أصل جميع الأشياء كما يرى طاليس بما في ذلك الجماد، وهو هنا التراب فهو يتكون كذلك من الماء وقد استدل طاليس على ذلك من ملاحظته لأنهر أيونيا والذلتا المصرية، فحينما ينحصر عن " تلك الأنهر الماء وتجفك عندها تتحول إلى تراب فكل شيء ينمو بالماء ويذبل وينتهي عند حرمانه من الماء

بعد الحديث عن رأي طاليس الأول ننتقل للحديث عن رئيه الثاني وهو قوله : " **العالم حافل بالآلهة** هذا الرأي يذكره أرسطوطاليس ، ويراد به كما يشير يوسف كرم أن العالم حافل بالنفوس لأن النفس كما ينظر لها هي مبدأ كل فعل وحركة . لكن هناك من المفكرين من يشك أن هذا الرأي لطاليس . ومنهم بيرنت Burnet " " في كتابه الفلسفة اليونانية المبكرة ، مشيراً أن هذا الرأي ربما يكون قد نسب إلى طاليس. وقوله هذا يأخذ به الفيلسوف برتراند رسل.

بالنسبة لقول طاليس العالم حافل بالآلهة كما نرى يريد به أنه مليء بالقوانين ، فلكل موجود من الموجودات قوانينه الخاصة به . أما قوله للحجر المغناطيسي روحاً لأنه يحرك الحديد فينجذب اليه ، فهو تطبيق عملي لرأي طاليس الثاني ، وهذا ينسجم مع فلسفة طاليس ، فكما ذكرنا أن طاليس من البداية حاول أن يعزز ما يطرحه من آراء بالأدلة وبهذا اختلف عمن سبقه حينما قال أن الماء أصل الوجود أو أصل جميع الأشياء ، وحاول أن يقدم الأدلة على قوله كما ذكرنا سابقاً . وقوله للحجر المغناطيسي روحاً أراد بهذا أن يقول أن له قانونه الخاص به وهو جذب الحديد فهو لا يجذب الخشب أو الزجاج وغيره.

. وقوله إن العالم حافل بالآلهة أراد به أن يقول أن القوانين الخاصة بكل موجود في هذا العالم ، أي أن هذه القوانين التي تهيمن على العالم هي قوانين صارمة في غاية الدقة ، لا يشذ عن ذلك حتى الجماد كما في الحجر المغناطيسي فهو لا يجذب الا قطع الحديد وهذا فقط عند توفر الظروف الملائمة لذلك عندها تتم عملية الجذب ، أما في حال وجود عازل يحول بين قطعة المغناطيس وقطعة الحديد فأن عملية الجذب لا تتم .

أما الرأي الثالث لطاليس فهو قوله : " **للحجر المغناطيسي روحاً لأنه يحرك الحديد** " هذا الرأي يذكره أرسطو طاليس بتحفظ . بينما يقبله بعض المفكرين ومنهم بيرنت وكذلك برتراند رسل ، وهذا انطلاقاً من أن المادة تمتلك بذاتها مبدأ حركتها لأنها حية.

ثانيا: الأفكار والموضوعات الكبرى في فلسفة انكسيمندرس

تشكل فلسفة " انكسيمندرس" امتداداً طبيعياً لفلسفة طاليس، وإن اختلفت معها في تحديد نوعية أصل العالم. فقد عاش في زمن طاليس وتأثر مثله بآراء الشرقيين وخاصة علمي الفلك والجغرافيا، والمعروف عنه أنه أول مفكر يوناني طور آله المزولة البابلية واستعملها في معرفة طول الظل باختلاف أوقات النهار، وكذلك معرفة الفصول الأربعة والغروب والشروق وطول

الليل والنهار، كما كان أول من تحدث من فلاسفة اليونان عن الاتجاه التطوري لنشأة الكائنات الحية. فهو أول من فسر الأصل الطبيعي للإنسان. وكلن ينطلق في ذلك من اعتقاده بأن الكائنات الحية تنشأ من الرطوبة وأنها في تكوينها الأول كانت تحيط بها الصدف والقشور كالأسماك تماماً. ولكن عندما استقرت على اليابسة خلعت قشورها وبدأت تتكيف مع المحيط الجديد. وكان منها الإنسان الذي هو برأيه تطوراً عضوياً عن تلك الحالة الانتقالية" . غير أن ما يميز فلسفة " انكسيمندرس" ليس هذا واحدية العنصر المائي المكون للعالم". الاتجاه التطوري وإنما موقفه وفكرته عن أصل العالم، فقد رفض مقولة طاليس حول واحدية العنصر المائي المكون للعالم.

إذن يفتش انكسيمندرس عن أصل الموجودات ويجد هذا الأصل لا محدوداً لانهائياً. هذا اللانهائي أو اللا محدود أو اللامتعين (الأبيرون(APERON) ، دائم أزلي، خالد لا يفنى. منه ابتدأت الأشياء وإليه تعود دائم الحركة وحركته هي سبب التعيين والتحديد. عن طريقها تنشأ العوالم والسماوات إذ لا علة خارج اللا محدود وحركته، وبما أن اللامحدود عالم أزلي وحركة كذلك، فالعوالم والسموات في كذلك أبدية . أما أصل العالم أو الأبيرون، فهو ليس مادة مشخصة وحسية كلن كالماء عند طاليس في فريدبل تجريد من الأصل المادي نفسه ويشرح جعفر الى ياسين" هذا اللانهائي بقوله أنه "مزيج من الأضداد كالحارو البارد اليابس والرطب ويمتاز بالسرمدية وعنه تكون الأشياء فترتد على العنصر الذي نشأت منه ، كما جرى بذلك القضاء والقدر" وهكذا تقوم فلسفة انكسينمدرس على ارجاع أصل العالم إلى طبيعة مادية مجردة تختلف فيها التسمية فقط.

أما كيفية تحقق هذا الأصل فانه يتم عن طريق الحركة الذاتية للالنهائي ذلك أن الأبيرون يوجد في حركة مستمرة، وحركته هى منه، غير أنها تتحدد بكونها ميكانيكية كمية وبكونها حركة دائرية. أما كيف تتم هذه الحركة وكيف يغير هذا الفيلسوف بين فكرته في أصل العالم

يجيب جعفر آل ياسين على هذه الأسئلة موضحاً وشارحا فكرة انكسمندريس حيث يعتبر أن الأشياء تعوض بعضها بعضاً، ويرضي بعضها بعضاً فأشياء الكون تنشأ من هذا اللانهائي بعملية الانفصال، والانفصال هنا لايفسر إلا تفسيراً ديناميكياً بغية لتمرير عمليته القاصدة، وعند ذلك نعتبر الأبيرون مبدأ أولياً، فكانه هو نفسه سبب الانفصال المباشر، الذي أدى إلى نشأة الكون، فحركة المادة تفصل الأشياء بعضها عن بعض وتجمع بعضها إلى بعض، والأبيرون في بدء الأمر كل متجانس لا يوصف بكم نهائي ولا بكيف محدد ، ثم تظهر لنا صورة الاتصال، أولها البارة والرطب، وهو في المركز ثم تغلقه دائرة الهواء فدائرة اللهب ثم النار وبفضل هذه الحركة الانفصالية الخالدة تحدث العوالم والكائنات ".

وبصورة موجوزة لفلسفته نقول" أرجع أنكسماندرس العالم إلى قوة غير مادية وهي تسمى بالأبيرون l'apeiron وتتميز بكونها قوة غير محدودة ، أما حسب التصور الإغريقي القديم فإن هذه القوة هي الكاووس الأصلي أو العدم الذي خرجت منه باقي الموجودات، مما نلاحظ هذه العلاقة بين ما جاء على لسان أنكسماندرس وما ورد في سفر التكوين او باقي الكتب المقدسة. يتميز الأبيرون بكونه عنوانا لهذا الكون اللامحدود الذي ما إن ينتهي حتى يبدأ من جديد وبشكل مشابه ومطابق لما كان عليه الأمر سابقا، أي أن الأبيرون ليست له بداية كما أنه لن ينتهي باعتباره أزليا خالدا. أما الموجودات التي تحفنا فإنها تتولد من هذه القوة ثم تعود إليها كي تولد من جديد وهكذا دواليك إلى ما لانهاية.

إذا كان العالم الذي نعيش فيه محدودا فلأن أصله أي الأبيرون غير محدود، يفسر أنكسماندرس هذا الشأن باعتبار أن عالمنا منتوج خالص لمبدأ التناقض، فإذا أراد أن يتصف بصفة الوجود عليه ان يكون محدودا كي يعود إلى اللامحدود أي الأصل وذلك من أجل الولادة من جديد، سيحيلنا هذا الأمر على قضية توازن المتناقضات، أي تولد اللامحدد من المحدد، وهو الذي يتجسد بشكل كبير في الطبيعة التي تتكون من أربع قوى غير محددة وهي الساخن

والبارد فالجاف ثم الرطب، التي تنجم عنها العناصر الأربعة المحددة على التوالي وهي التراب والماء فالنار ثم الهواء. وللإشارة فإن تصور أنكسماندرس في الفلسفة سيؤدي فيما بعد إلى ظهور الفيزياء القديمة التي كانت تعنى بمسائل الطبيعة خاصة وأن عبارة "فيزيقا" الإغريقية تعني الطبيعة بلغة اليوم.

يمكن اختصار إنجاز انكسمندريس الفلسفي في ثلاثة نقاط:

أولاً – القول بمادية أصل العالم، وذلك انسجاماً مع القليل الطبيعي المادي الولادة الفلسفة في اليونان.

ثانياً – القول بالحركة الذاتية للمادة أو لهذا الأصل.

ثالثا: تجريد هذا الأصل المادي المعالي تجريد يشير إلى المنهج الجديد الذي بدأت عملية المعرفة تحمد عليه في تأسيسها النظرية الوجود.

لكن وفي الحقيقة، فان اللانهائي أو الأبيرون كان قد " شكل الخطوة الأول الحقيقية على طريق نشوء وتطور المفهوم، من حيث هو كذلك عموماً، وفي سبيل ذلك لم تقم المسألة على عملية إرجاع الظاهرات والأشياء الحسية المتعددة إلى شيء أو ظاهرة واحدة.فعلى الرغم من أنه يكمن في عملية " الإرجاع هذه عنصر تجريد معين، فإن ما يجري هنا هو بشكل جوهري فقط رفع جزئية أشياء عديدة حسية لصالح شيء واحد حسي.

3/ الأفكار الكبرى في فلسفة لأنكسيمانس

آخر شخصية فلسفية في ملطية وثالث مفكري المدرسة الأيونية ، كان انكسيمانس هو تلميذ انكسيمندرس ومواطنه، عاش بين الربع الأول من القرن السادس ق . م والربع الأخير منه. بحث كسلفيه عن أصل الموجودات، لكنه لم يقبل ماء طاليس ولا أبيرون انكسمندرس ، إن

المادة التي تكونت منها سائر الموجودات هي " الهواء"، وهو مادة لانهائية معينة متحركة، علة الحياة في العوالم وفي جميع الأشياء المتحركة، منه تكونت الأشياء بالتكليف والتحليل، وهكذا تجد الكسيمانس لا يكتفي بتقرير المادة الأولى، بل شرح أيضاً الجانب الكيفي من عملية وجود العالم وذلك بإرجاع الكيف إلى كم. فالأشياء تختلف لا لأنها مركبة من عناصر أو مواد مختلفة بل لاحتوائها على كميات مختلفة من الشيء نفسه أو المادة نفسها أو العنصر نفسه، فحركة الهواء علة تغيره، يتخلخل فيصبح ناراً، ويتكاتف فيعطي الرياح والسحاب والماء والتراب والحجارة. إن تفسير عملية تنوع الموجودات وتغيرها عن طريق التكاتف والتخلخل خطوة متقدمة على طريق البحث العلمي ولو من حيث الإطار العام والمنهج، تضاف إلى ما اكتشفه أستاذه أنكسيمندريس حول الحركة، واستمراريتها وصراع الأضداد حسب قانون الزمان، لتشكل بدايات مبكرة لبحث علمي في الطبيعة.

إن الحركة خاصية للمادة الأولى، هذا ما قرره طاليس وانكسيمندرس لكنهما هنا أبين فالهواء في حركة دائمة ولذا اعتبره انكسيمانس علة الحركة الأولى في الطبيعة وعلة الحياة في الكائنات الحية، ولا غرو فالتنفس يمسك الحياة وفقدانه يسبب الموت، هذا ما نهتم لمعرفته عند انكسيمانس ولن تتعرض لآرائه حول الأرض والشمس وإن كان في بعض تصوراته جرأة فائقة، إذ اعتبر أن الشمس أرض سريعة الحركة وسرعة حركتها هي مصدر حرارتها. فالشمس لم تعد إلهاً معه بل أصبحت موجوداً طبيعياً.ومع فقدان ملطية استقلالها السياسي (بداية القرن الخامس ق.م) توقف تطور الفلسفة فيها ولكن أفكارها انتقلت إلى المدن اليونانية الأخرى.

وخلاصة القول ان أنكسيمانس: وبخلاف طاليس وأنكسماندرس، أرجع العالم إلى أصل آخر وهو الهواء، وذلك لاتصافه بجملة من الخصائص التي تتوفر فيه لوحده، إذ الهواء يتميز بكونه إلهيا وخالدا ولطيفا.وحسب أنكسمانس فإن الهواء بالنسبة للعالم، كالنَفَس أو الروح التي تُنفخ فينا من أجل الاستمرار في الحياة، بل إن مجموع الحقائق ليست في الأصل سوى

انبعاث لهذا المبدأ وقد تأرجح بين قوتين وهما القلة والكثافة باعتبارهما مسؤولتان عن التعدد الذي يسكن عالمنا، فالهواء مثلا عندما يخف يمنحنا النار، وعندما يتكاثف يعطينا الرياح ثم الماء فالتراب وأخيرا الحجر.

رابعا: الطبيعيون المتأخرون" أنباذوقليس أنموذجا"

إذا كان الفلاسفة الطبيعيون المشار إليهم سابقا لم يقولوا بالعلة المحركة، واكتفى كل واحد منهم بإرجاع سبب كون وفساد الأشياء إلى أحد الأسطفسات الثلاثة: الماء أو الهواء أو النار. فإن أنباد و قليس قد خطا خطوة متقدمة في هذا المجال حينما قال به أن الأجسام الهيولانية أربعة»، وهي الماء والهواء والنار والتراب، وحينما قال أيضا بوجود سبب فاعل لتكون وفساد الأشياء، يتمثل في مبدأي المحبة والعداوة . حيث تفعل المحبة الكون باجتماع الأجزاء» وتفعل العداوة الفساد بافتراقها». وقد كان أنباد و قليس يعتقد أن المحبة إذا استولت أوجبت للموجودات أن تكون واحدا فلذلك كان شرط الكثرة والتمييز أن تكون غلبة ومن شرط الاتحاد تكون محبة كما يقول أيضا بأن الغلبة أو العداوة هي سبب الموجودات، وإن تمادت في فعلها هذا تصبح علة فسادها و يمكنا تلخيص أهم الانتقادات التي توجه الأننبادوقليس بخصوص موقفه من "الكون والفساد في النقط التالية

1/الأسطقسات الأربعة التي تتألف منها الكائنات، جسمانية ومركبة، وبذلك يلزم أقدم منها، تكونت منه، ويكون ذلك الشيء من شيء آخر أن يكون هناك شيء آخر أقدم منه، فيمر ذلك إلى غير نهاية. (

2/ إن قول أنيادوقليس بأن الغلبة هي علة الفساد، كما أنها شرط في وجود الكثرة، وسببا لوجود جميع الأشياء، يسقطه في تناقض، لأنه جعل نفس الشيء علة لنقيضين) .

3/ إن كانت الغلبة علة فساد، فإن المحبة أيضا يمكن أن تكون علة فساد، إن اجتمعت أشياء كثيرة إلى واحد . لأنها كما يقول أرسطو بتوحيدها للموجودات في واحد، تفسد كل البقية». وهذا مخالف للمبدأ الأساسي لأنبادوقليس، والذي يقضي بأن تفعل الغلبة الفساد كما تفعل المحبة الكون.

3/نقد المدرسة الطبيعية (الأيونية)

يمكننا أن نلخص أهم النقاط التي تجاهلتها المدرسة الطبيعية (الأيونية –المالطية) وهي كالآتي:

1/ إشارتهم لوجود العلة المادية وإغفالهم عن بقية العلل الأخرى(الفاعلة والصورية والغائية): حيث أنهم لم يروا في الكون سوى حركة الاسطقسات(العناصر المكونة) للأشياء أي الموجودات بفعل تكاثفها وتخلخلها ، وفعل التكاثف والتخلخل هذا، يتم داخل الأشياء ذاتها، لينتج عنه كونها أوفسادها أو تغيرها، دون حاجة لاى محرك خارجي، لأن غياب هذا الأخير –المحرك الخارجي – يلزم عنه " أن تتكون الأشياء من ذاتها وتفسد من ذاتها" كما يلزم عنه أيضا تسلسل الكون والفساد التلقائيين إلى مالا نهاية له، وهو تسلسل ناتج عن قول هؤلاء الطبيعيون بأسطقس أول جسماني مما يسقطهم في تناقض، لأن كل جسم مركب ويلحقه الكون والفساد، وبذلك" يلزم أن يكون للأسطقس أسطقس ويمر ذلك إلى غير نهاية

2/ جعل الطبيعيون الأوائل بعض العناصر المادية أسطقسات لبعضها الآخر، فجوزوا أن يكون الهواء أسطقسا للنار، والماء أسطقسا للهواء، وهذا مخالف لحد الأسطقس الذي يقتضي أن يكون الألطف أسطقس الأغلظ، والأصغر قبل الأكبر في الكون). في مفهوما " التكاتف والتخلخل " لدى الفلاسفة الطبيعيين الأوائل لا يكفيان لتفسير كون المركبات من الأسطقات، وذلك أن الأشياء المتولدة عن الأسطقسات الأربعة، تخالف هذه الأسطقسات في الماهية والحد، وهو اختلاف لا يمكن إرجاعه إلى مجرد تكاثف وتخلخل مثل مخالفة اللحم

والعظم للأسطقسات الأربعة». ولعل هذا ما جعل أرسطو يقول بأن ما يسمى كونا مطلقا عند هؤلاء الفلاسفة ليس إلا استحالة. لأنهم جعلوا جميع الأشياء تخرج من مبدا واحد، فلا يحصل بذلك تحول جوهري فيالأشياء ليؤدي إلى الكون والفساد، بل إن ما يقع هو فقط تحول كيفي، يتم بتكاثف وتخلخل كميات معينة من العناصر المحيلة للشيء، والتي تطل جواهرها "ثابتة" لا تتكون ولا تفسد..

3/ إن هؤلاء الفلاسفة حضروا تفكيرهم في إطار العلم الطبيعي فقط، لأنهم لم ينتبهوا سوى للجانب المادي من الموجودات الحسية، في حسبوا أن علمهم هو العلم الكلي الناظر في الموجود بما هو ما أدى بهم موقفهم المعرفي القائل بأن المعرفة مرتبطة بالمحسوسات فقط إلى السوقساطئية، وبالتالي الشك في وجود العلم الضروري أو إنكار وجوده، إذ ليس هاهنا شيء يتعلق به العلم إلا المحسوسات وهي في تغير دائم وإذا كان المعلوم في تغير دائم فالعلم به في تغير دائم والعلم المتغير ليس علما فليس ها هنا إذا موجود علم» ».